خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٣٠م

في مسجد مبارك في إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنت قد ذكرتُ في الخطبة الماضية حادثا غريبا لحبِّ سوادِ بن غزيّة لرسول الله ﷺ، وبعض التفصيل عنه كالتالي. عاد سواد بن غَزِيّة في هذه المعركة منتصرا وأسر أحد المشركين وهو خالد بن هشام. وعيَّنه النبي ﷺ فيما بعد مشرفا على جمع الأموال في معركة خيبر. ويرى البعض أن الحادث أعلاه منسوب إلى سواد بن عمرو إلى جانب حضرة سواد بن غزية. لكن يبدو أن ذلك حادث آخر لأن في كتب التاريخ والسيرة غالبًا ما نُسب هذا الحدث إلى سواد بن غَزِيّة.

كتب مرزا بشير أحمد رضي الله عنه تفصيلا لهذا الحادث في كتابه "سيرة خاتم النبيين ﷺ" وهو أنه كان ١٧ رمضان من العام الثاني للهجرة ويوم الجمعة الموافق لـــ ١٤ مارس ٦٢٣ الميلادي. وفي الصباح أقيمت الصلاة أولا وصلى المسلمون في العراء. وبعد ذلك ألقى رسول الله ﷺ خطبة في الجهاد، وعندما طلعت الشمس بدأ النبي ﷺ في تسوية صفوف المسلمين بإشارة سهم. كان أحد الصحابة اسمه سواد واقفا خارج الصف قليلا، فطلب منه النبي ﷺ أن يتراجع مشيرًا بالسهم، ولكن بالمصادفة أصاب خشبُ السهم بصدره، فقال بجسارة. يا رسول الله، قد بعثك الله بالحق والعدل، لكنك رميتني بسهم بغير حق، واللهِ، لأنتقم منك، وكان الصحابة مستغربين ما حدث بسواد، ولكن النبي ﷺ قال بغاية من اللطف: يا سواد، يمكنك أن تضربني بسهم. ورفع الثوب عن صدره، فتقدم سواد إلى الأمام وقبّله. فابتسم رسول الله ﷺ وسأل: ما هذا يا سواد؟ فقال بصوت رقيق: يا رسول الله، إن العدو أمامنا، ولا ندري هل ننجو من هنا أم لا، فأردتُ قبل الاستشهاد أن ألمس جسدي بجسدكم المبارك. (سيرة خاتم النبيين ﷺ)

وذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ واقعة مماثلة قرب وفاة رسول الله ﷺ، ليس في غزوة بدر بل عند وفاته، وقال: "فلما اقترب وقت وفاة الرسول ﷺ جمع أصحابه وقال: انظروا، أنا أيضا بشر مثلكم. ويمكن أن أكون أخطأت في حق أحدكم يوما، وأكون أسأت إلى أحدكم، والآن، بدلًا من أن أمثُل أمام الله تعالى في حال يكون أحدكم مدّعيا عليَّ، أقول لكم إذا تضرَّر أحدكم مني فعليه أن ينتقم مني في هذا العالم. ونظرًا إلى حب الصحابة للنبي ﷺ، يمكن تقدير ما يكون قد أصاب قلوبهم من رقة وألم نتيجة كلمات الرسول ﷺ. وهذا ما حدث. غلبتهم الرقة الشديدة وتدفقت الدموع من عيونهم وصعب عليهم الكلام. ولكن قام أحد الصحابة وقال: يا رسول الله! تقول إذا آذيتُ شخصًا فعليه أن ينتقم مني، فأنا أريد أن أنتقم منك. قال النبي ﷺ: حسنا. أخبرني بسرعة ما الضرر الذي سببتُه لك؟ فقال ذلك الصحابي: يا رسول الله! بمناسبة معركة كذا وكذا، كنتَ تسوّي الصفوف، فاحتجت إلى التقدم مرورا بصف. وعندما مررت بالصف من أجل التقدم، أصابت مِرفقُك ظهري، واليوم أريد أن أنتقم منك لذلك. وروى الصحابةُ أننا في ذلك الوقت أخرجنا سيوفنا من غمدها غضبًا، وبدأ الدم يترف من أعيننا، لو لم يكن النبي ﷺ بيننا لكنا مزقنا هذا الشخص إربا. لكن الرسول الكريم أدار ظهره نحوه وقال: خذ بثأرك واضربني بمرفقك بنفس الطريقة. قال: يا رسول الله! ليس بعد، عندما ضربتني بمرفقك كان ظهري عارِيًا ولكن ظهرك تحت الثوب. فقال النبي ﷺ للصحابة: ارفعوا الثوب عن ظهري لينتقم مني. فلما أزال الصحابة الثوب عن ظهر النبي ﷺ، تقدم هذا الصحابي بشفاهٍ ترتجف ودموع تنهمر، وقَبّل ظهر النبي ﷺ بالحب، وقال: يا رسول الله! أين الانتقام وأين هذا العبد التافه! عندما علمتُ منك أن الوقت –الذي مجرد تصوره يهزّ كياننا– قد اقترب، فأردتُ أن تلمس شفتي ذلك الجسد المبارك الذي جعله الله تعالى مجموعة البركات كلها. لذلك جعلتُ الإصابة بالمرفق وسيلةً لتحقيق هدفي وأردتُ تقبيلك مرة أخيرة. قال: يا رسول الله! ما قيمة هذه الإصابة بالمرفق، فإننا نفديك بكل ما نملك. إن نفسي اخترعت هذا العذر لتقبيلك. والصحابة الذين كانوا يستعدون لقتل هذا الشخص مستشيطين غضبا بكلامه، عندما رأوا هذا المشهد، وعلموا أنه كان يكن في قلبه شيئا آخر، قالوا: غضب كلٌّ منا على نفسه، لماذا لم نحصل على الفرصة لتقبيل حبيبنا ﷺ. قال المصلح الموعود ﷺ: كان هذا الإنسان –يعني رسول الله ﷺ– مرشدنا، ومرشدنا الذي قدم لنا نموذجا في كل جانب من جوانب حياته، ولا يمكن العثور على نظيره في أي نبي آخر. (الأسوة الحسنة)

ماذا كان شعار الصحابة أو علامتهم وهتافهم يوم بدر؟ ورد عن عروة بن الزبير ﷺ قال: كان شعار المهاجرين يومئذ: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله. وسمى ﷺ خيله خيل الله، وقيل في رواية: كان شعار الجميع يومئذ: يا منصور أمِتْ. (سبيل الهدى والرشاد)

وفي رواية كان شعار الأنصار يوم بدر، أي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك إذا جاء الليل أو وقع اختلاط: «أحد أحد»، وشعار المهاجرين يومئذ: «يا بني عبد الرحمن» (السيرة الحلبية)

تعليمات النبي ﷺ عن الحرب، ورد تفصيلها كالتالي. حين سوى النبي ﷺ الصفوف قال للصحابة: عليكم ألا تشنوا الهجوم ما لم آمركم به، وإذا اقترب منكم العدو ادفعوهم إلى الوراء بالسهام، لأن إطلاق السهام من بعيد غالبًا ما يكون عديم الجدوى والسهام تضيع. وبالمثل، لا تسحبوا السيوف حتى يقترب العدو كثيرًا.

لقد ذُكرت للنبي ﷺ خطبة ألقاها في الصحابة وحثَّهم فيها على الجهاد ونصحَهم بالصبر، كما قال إن الله يُذهب الهم والغم بالصبر على المصيبة، وقد ورد تفصيل هذه الخطبة كالتالي: حمد النبيُّ ﷺ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله ﷻ عليه وأنهاكم عما نهاكم الله ﷻ عنه، فإن الله ﷻ عظيم شأنه، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يُذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهَه وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله ﷻ به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة أي بالصبر، فيكم نبي الله يحذِّركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطَّلع الله ﷻ على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله ﷻ يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (غافر: ١٠) انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته وأعزكم بعد الذلة، فاستمسكوا به يرض به ربكم عنكم، وأَبلُوا ربكم في هذه المواطن أمرا، تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لنا وللمسلمين."

كان النبي ﷺ قد نهى عن قتل بعض الناس فعن ذلك يقول سيدنا ابن عباس:

إِنّ النّبِيّ ﷺ قَالَ لأَصْحَابه يَوْمَئذ إِنّي قَدْ عَرَفْت أَنّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيّ فَلَا يَقْتُلْهُ وَمَنْ

لَقِيَ الْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ فَإِنّهُ إنّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا. قَالَ ابن عباس رضي الله عنه فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَنَتْرُكُ الْعَبّاسَ وَاَللّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْحِمَنّهُ السّيْفَ. قَالَ فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ يَا أَبَا حَفْصٍ -قَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ إنّهُ لَأَوّلُ يَوْمٍ كَنّانِي فِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَبِي حَفْصٍ- أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِالسّيْفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللّهِ دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ بِالسّيْفِ فَوَاَللّهِ لَقَدْ نَافَقَ. فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إلّا أَنْ تُكَفّرَهَا عَنّي الشّهَادَةُ. فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا.

يقول سيدنا مرزا بشير أحمد رضي الله عنه إن النبي ﷺ قد قال موجها الخطاب إلى الصحابة إن في جيش الكفار أناسا لم يحضروا المعركة عن طيب خاطرهم، بل قد انضموا إلى الجيش بضغط من سادة قريش، فهم لا يعادوننا شخصيا. وكذلك تجدون في الجيش أناسا قد عاملونا بمكة بإحسان يوم كنا في مصيبة، ومن واجبنا أن نرد جميلهم، فإذا غلب مسلم أحدا من هذه الفئة فلا يؤذينه. ثم ذكر حضرته ﷺ من القسم الأول سيدَنا عباس بن عبد المطلب بوجه خاص ومن القسم الثاني أبا البختري ونهى عن قتلهما. لأن هؤلاء كانوا يسعون ليفرجوا عن كروب المسلمين، لذا قد نهى عن قتلهم. لكن الأوضاع أخذت منحى خطيرا لم يسلم فيها أبو البختري من القتل، إلا أنه كان قد اطَّلع منها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة على أن رسول الله ﷺ كان قد نهى عن قتله.

لقد ورد في التاريخ أن النبي ﷺ دخل العريش بعده وانشغل في الدعاء، وكان معه سيدنا أبو بكر وكانت جماعة من الأنصار تحرسه بقيادة سيدنا سعد بن معاذ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ (أن تهلك المسلمين اليوم) لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ ﷺ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ من القبة وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾. وحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ

مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. هذه الرواية وردت في صحيح مسلم.

وقد سجل مرزا بشير أحمد ﷺ هذه الواقعة في كتابه وقال: ثم ذهب النبي ﷺ إلى العريش وعكف على الدعاء. كان سيدنا أبو بكر يرافق النبي ﷺ، بينما كانت جماعة من الأنصار تحت قيادة سعد بن معاذ تحرس العريش. وبعد قليل صعدت في ساحة المعركة ضجة، وتبينَ أن جند قريشا قد شنوا الهجوم العام. كان النبي ﷺ يدعو الله تعالى في منتهى الرقة مادًّا يديه ويقول في قلق شديد: اللهم إنِي أنشدك عهدك ووعدك. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. أي يا رب أنجزْ لي ما وعدتني. كان ﷺ يدعو في كرب شديد، فتارة كان يخر ساجدا، وأخرى يدعو قائما، حتى إن رداءه كان يسقط من منكبيه مرة بعد أخرى، وكان سيدنا أبو بكر يأخذه ويلقيه على منكبيه ﷺ. وقال علي ﷺ: في أثناء القتال كلما كنت أفكر في النبي ﷺ كنت أجري إلى عريشه، وكلما أتيته وجدته يبكي ويبتهل ساجدا، وقد سمعته يقول: يا حي يا قيوم. أي يا إلهي الحي القيوم. وكان أبو بكر ﷺ حين يراه في هذه الحالة كان يصاب بالقلق، وكان يقول عفويا: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، لا تحزن، فإن الله سوف ينجز لك وعده، ولكن النبي ﷺ ظل عاكفا على الدعاء والابتهال وفقًا للمقولة الفارسية الحقة: مَن كان أكثرَ عرفانا كان أكثرَ خشيةً.

ما هو التوكل، يبين حضرة المصلح الموعود ﷺ هذا الأمر ويقول: قام النبي ﷺ يوم بدر بتنظيم جيش الصحابة أولاً، وأخبرهم بأماكنهم للقتال، وأعطاهم تعليماته عن الحرب، ثم بعد ذلك جلس في عريش قد أُعدّ له يدعو الله تعالى. لم يترك النبي ﷺ صحابته في المدينة، ولم يأت إلى بدر وحده ليدعو الله فقط، بل أخذ صحابته أولاً إلى موقع القتال، ثم قام بتنظيمهم وآتاهم التعليمات، ثم دخل العريش المعَدّ له ليدعو الله تعالى ويبتهل إليه. هذا هو التوكل الذي يجب أن نعمل به. أي يجب على المرء أن يتخذ جميع الأسباب التي يستطيع أن يتخذها، ويسعى كل ما في وسعه، ثم يعكف على الدعاء، فهذا ما يسمى التوكل.

وقال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: كان النبي ﷺ قد وُعد في القرآن الكريم مرارا بالغلبة على الكافرين، ولكن لما بدأ القتال في وقعة بدر التي كانت أول قتال في الإسلام، بدأ النبي ﷺ في البكاء والدعاء أمام الله تعالى حتى خرجت من فمه الكلمات التالية: اللهم إن أهلكت هذه العصابة فلن تُعبَد في الأرض أبدًا. أي إلهي أن أهلكت هذه الجماعة التي عددها ٣١٣ فقط فلن يعبدك أحد

إلى يوم القيامة. ولما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه الكلمات من فم النبي ﷺ قال يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تقلق لهذه الدرجة فإن الله تعالى قد وعدك وعداً مؤكدا بالنصر والفتح. فقال النبي ﷺ: هذا حق، ولكني أنظر إلى غنى الله تعالى، أي ليس حقا واجبا على الله تعالى أن ينجز وعده في كل حال. إنه تعالى غني عن العالمين، لذا يجب علينا أن نخافه في كل موطن ونكون قلقين كل حين. أخذ النبيَّ ﷺ نعاس وهو في العريش، فانتبه منه فجأة وقال أبشرْ يا أبا بكر، فإن نصر ربك قد أتى. فها هو جبرائيل قادم آخذا بلجام حصانه، وعلى قدميه أثر الغبار. هذه الرواية وردت في سيرة ابن هشام.

وهناك رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: بشرى لك يا أبا بكر، فهذا جبريل لابسا عمامة صفراء، وآخذا بلجام فرسه ما بين السماء والأرض ، وإنه لما نزل على الأرض غاب عني بعض الوقت ثم ظهر، وكانت أقدام فرسه مغبرة وهو يقول: لقد دعوت ربك وها قد أتتك نصرته.

أما مشاركة النبي ﷺ في القتال يوم بدر، فقد ورد أنه ﷺ جعل في ساحة بدر الزبير بن العوام على الميمنة، والمقداد ابن عمرو على الميسرة، وقيس بن صعصعة على الساقة، أي على الرجّالة. وكان النبي ﷺ يقوم بالقيادة العمومية وهو في مقدمة الجيش. فألزم كلَّ الصحابة بتعليماته وقال: لا يتقدمن أحدكم ما لم أتقدمه. كما أمرهم النبي ﷺ باستخدام الأسلحة فيما لا بد منه وقال: ارموا العدو بالنبال إذا صار على مرمى منكم، ووفِّروا سهامكم ما استطعتم.

علماً أن قصة دعاء النبي ﷺ جالسا في العريش كانت قبل بداية القتال العام، أقول ذلك لأن القصة وردت بما يوحي وكأن النبي ﷺ لم يشارك في القتال. كلا، بل شارك فيه، أما هذا الدعاء الذي بسببه أرسل الله مدد الملائكة فكان قبل القتال العام.

على كل حال، قد روى سيدنا علي رضي الله عنه عن المشاركة الفعلية من النبي ﷺ في معركة بدر وقال كنا نلوذ بالنبي ﷺ يوم بدر، وكان أقرب ما يكون من العدو، وكان أشد المجاهدين قتالا يومئذ.

لقد ورد عن نزول قريش ميدانَ الحرب والمجادلة والخلافات بينهم:

لَمّا اطْمَأَنّ الْقَوْمُ بَعثُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ فَقَالُوا: احْزُرْ لَنَا أَصْحَابَ مُحَمّدٍ قَالَ فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعَسْكَرِ ثُمّ رَجَعَ إلَيْهِمْ فَقَالَ: ثَلَاثُ مائَة رَجُلٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ وَلَكِنْ أَمْهِلُونِي حَتّى أَنْظُرَ أَلِلْقَوْمِ كَمِينٌ أَوْ مَدَدٌ؟ قَالَ فَضَرَبَ فِي الْوَادِي حَتّى أَبْعَدَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَرَجَعَ إلَيْهِمْ فَقَالَ مَا وَجَدْت شَيْئًا، وَلَكِنّي قَدْ رَأَيْت، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ

النّاقِعَ، قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إلّا سُيُوفُهُمْ وَاللّه مَا أَرَى أَنْ يَقْتُلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَرَوْا رَأْيَكُمْ. (أي قدم رأيه بعد فحص الوضع) فَلَمّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ مَشَى فِي النّاسِ فَأَتَى عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَقَالَ يَا أَبَا الْوَلِيد إنّك كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَ، وَالْمُطَاعُ فِيهَا...تَرْجِعُ بِالنّاسِ وادفع ديّةَ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيّ. قَالَ قَدْ فَعَلْتُ فَأْتِ ابْنَ الْحَنْظَلِيّةِ (أي أبا جهل لأن اسم والد أبي جهل كان حنظلة) قال أبو جهل: منذ أن رأى عتبةُ محمدا (ﷺ) خاف وجبُن، كلا، والله لن نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد. وقال أبو جهل أيضا إن عتبة يمنعنا من القتال لعلمه أن المسلمين لنا كمثل لقمة بعيرٍ أي نستطيع أن نقتلهم بسهولة وإن في المسلمين ابن عتبة أيضا. علما أن ابن عتبة كان قد أسلم من قبل، فلعله لا يريد قتال المسلمين بسبب ابنه. إن ابن عتبة المشار إليه هو أبو حذيفة الذي كان موجودا في ميدان بدر في صفوف المسلمين. فلما بلغ عتبةَ طعنُ كونه جبانا قال: سوف يعرف هذا الجبان أي أبو جهل من الجبان والخائف.

لقد بيّن مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيل هذا الحادث وقال: كان الجيش عندئذ في حالة المواجهة تماما. علما أن الجيوش كانت تُحشَد للحرب سلفا. كان جيش الكفار قويا لذا كان النبي ﷺ في حالة الدعاء. فلما واجه الجيشان وكان القتال على وشك النشوب، وكان النبي ﷺ أيضا موجودا في ساحة المعركة. كان الجيشان في حالة المواجهة تماما. ولكن من غرائب قدر الله تعالى أن وضع صفوف الجيوش يوحي بأن جيش المسلمين بدا لقريش أكثر بل ضعف عدده الحقيقي، مما أدى إلى انتشار الذعر في صفوف قريش. أما جيش قريش فقد بدا للمسلمين أقل من عددهم الحقيقي، الأمر الذي بثّ فيهم روح الحماس أكثر. كان قريش يسعون جاهدين ليعلموا عدد جيش المسلمين الحقيقي ليتداركوا القلوب المذعورة. لذا بعثوا عمير بن وهب ليجول بفرسه حول جيش المسلمين ليعلم عددهم الحقيقي، وهل وراءهم مددٌ. فجال عمير بفرسه حول جيش المسلمين ورأى في وجوههم جلالا وهيبة وعزيمة وعدم خوف الموت حتى عاد مذعورا بشدة فقال مخاطبا قريشا: مَا وَجَدْت شَيْئًا، وَلَكِنّي قَدْ رَأَيْت، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النّاقِعَ. فلما سمعت قريش بذلك انتشر فيهم الرعب والاضطراب لدرجة ولّى سراقة الذي كان قد جاء بضمان لهم. ولما منعه الناس من الفرار قال: أرى ما لا ترون. ولما سمع حكيم بن حزام رأي عمير جاء إلى عتبة بن ربيعة مذعورا. وقال: يا عتبةَ، إنك لا تريد إلا أن تقتصّ من محمد (ﷺ) لعمرو بن الحضرمي الذي كان حليفك، ألا يمكن أن تدفع نيابة عنه دِيّته وتعود مع قريش وبذلك سوف يبقى صيتك الحسن قائما.

كان عتبة أيضا مذعورا بنفسه فقال فورا: نعم نعم أنا راض بذلك. ثم قال: انظروا إلى حكيم بن حزام إن المسلمين ونحن أقارب على أية حال. هل يُستحسَن أن يرفع أخ سيفا على أخيه، والابنُ على أبيه. اذهبوا إلى أبا الحِكَم (أي أبا جهل) وقدموا له هذا الاقتراح. ومن ناحية ثانية ركب عتبة بعيرا وبدأ ينصح الناس من عنده أن القتال ليس جيدا وعلينا أن نرجع ونترك محمدا وشأنه فليسوِّي حسابه مع القبائل الأخرى وسنترقب النتيجة ونرى رأينا. ثم اعلموا أيضا أن قتال المسلمين ليس بأمر هيّن لأني أراهم يتحرون الموت، وإن وصفتموني جبانا مع أنني لستُ جبانا. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ وَقَدْ رَأَى عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ فِي الْقَوْمِ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ: إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا.

ولكن لما جاء حكيم بن حزام إلى أبي جهل وقدم له الاقتراح، لم يكن لفرعون الأمة (أبي جهل) أن يقبل كلامه فقال من فوره تهكمًا: الآن بدأ عتبة يرى الأقارب أمامه. ثُمّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيّ، فَقَالَ هَذَا حَلِيفُك يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنّاسِ وَقَدْ رَأَيْتَ ثَأْرَك بِعَيْنِك، فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيك. فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيّ فَاكْتَشَفَ ثُمّ صَرَخَ وَاعَمْرَاه، وَاعَمْرَاه. (أي ليس هناك أحد ليقتص لأخي) فهذا الصوت قد أشعل في صدور جيش قريش جذوات العداوة فَحَمِيَتْ الْحَرْبُ ونشبت الحرب الشديدة. وسيأتي بقية التفاصيل لاحقا بإذن الله.